



ليس العبيد هم الذين تقهقرهم الأوضاع الاجتماعية والظروف الاقتصادية على أن يكونوا ريقاً يتصرف فيهم السادة كما يتصرفون في السلع والحيوان إنما العبيد الذين تعفيهم الأوضاع الاجتماعية والظروف الاقتصادية من الرق ولكنهم يتهاون عليه طائعين.

العبيد هم الذين يملكون القصور والضياع وعندهم كفاياتهم من المال ولديهم وسائل للعمل والانتاج ولا سلطان لأحد عليهم في أموالهم أو أرواحهم وهم من ذلك يتزاحمون على أبواب السادة ويتهاون على الرق والخدمة ويضعون بأنفسهم الأغلال في أنفاسهم والسلالس في إقدامهم ويلبسون شارة العبودية في مباهة واحتيال.

العبيد هم الذين يقفون بباب السادة يتزاحمون وهم يرون بأعينهم كيف يركل السيد عبيده الأذلاء في الداخل بکعب حذائه كيف يطردهم من خدمته دون إنذار أو إخبار كيف يطأطئون هامتهم له فيصفع أقفيتهم باستهانه ويأمر بإلقاءهم خارج الأعتاب ولكنهم بعد هذا كله يظلون يتزاحمون على الأبواب يعرضون خدماتهم بدل الخدم المطروحين وكلما أمعن السيد في احتقارهم زادوا تهافتًا كالذباب.

العبيد هم الذين يهربون من الحرية فإذا طردهم سيد بحثوا عن سيد آخر لأن في نفوسهم حاجة ملحة إلى العبودية لأن لهم

حاسة سادسة أو سابعة.. حاسة الذل.. لابد لهم من إروائها فإذا لم يستعبدهم أحد أحست نفوسهم بالظلمأ إلى الاستعباد وتراموا على الأعتاب يتمسحون بها ولا ينتظرون حتى الإشارة من إصبع السيد ليخرروا له ساجدين.

العبيد هم الذين إذا أُعتقو وأطلقوا حسدو الأرقاء الباقيين في الحظيرة لا الأحرار المطلقين السراح لأن الحرية تخيفهم والكرامة تنقل كواهلهم لأن حزام الخدمة في أوساطهم هو شارة الفخر التي يعتزون بها ولأن القصب الذي يرصن ثياب الخدمة هو أبيه الأزياء التي يتعشقونها.

العبيد هم الذين يحسون النير لافي الأعناق ولكن في الأرواح الذي لا تلهب جلودهم سياط الجلد ولكن تلهب نفوسهم سياط الذل الذين لا يقودهم النخاس من حلقات في آذانهم ولكنهم يقادون بلا نخاس لأن النخاس كامن في دمائهم.

العبيد هم الذين لا يجدون أنفسهم إلا في سلاسل الرقيق وفي حظائر النخاسين فإذا انطلقوا تاهوا في خضم الحياة وضلوا في زحمة المجتمع وفزعوا من مواجهة النور وعادوا طائعين يدقون أبواب الحظيرة ويتضرعون للحراس أن يفتحوا لهم الأبواب. والعبيد - مع هذا - جبارون في الأرض غلاظ على الأحرار شداد يتطوعون للتنكيل بهم ويتلذذون بإيذائهم وتعذيبهم ويتشفون فيهم تشفى الجلادين العتاة.

إنهم لا يدركون بوعث الأحرار للتحرر فيحسبون التحرر تمردا والاستعلاء شذوذًا والعزّة جريمة ومن ثم يصيّبون نفّمتهم الجامحة على الأحرار المعتزين الذين لا يسيرون في قافلة الرقيق.

إنهم يتسابقون إلى ابتكار وسائل التنكيل بالأحرار تسابقهم إلى إرضاء السادة ولكن السادة مع هذا يملونهم فيطردونهم من الخدمة لأن مزاج السادة يدركه السم من تكرار اللعبة فيغيرون اللاعبين ويستبدلون بهم بعض الواقفين على الأبواب.

ومع ذلك كله فالمستقبل للأحرار المستقبل للأحرار لا للعبيد ولا للسادة الذين يتمرغ على أقدامهم العبيد المستقبل للأحرار لأن كفاح الإنسانية كلها في سبيل الحرية لن يضيع ولأن حظائر الرقيق التي هدمت لن تقام ولأن سلاسل الرقيق التي حطمت لن يعاد سبّها من جديد.

إن العبيد يتکاثرون نعم ولكن نسبة الأحرار تتضاعف والشعوب بأكملها تنظم إلى مواكب الحرية وتنفر من قوافل الرقيق ولو شاء العبيد لانضموا إلى مواكب الحرية لأن قبضة الجلادين لم تعد من القوة بحيث تمسك بالزمام ولأن حطام العبودية لم يعد من القوة بحيث يقود القافلة لولا أن العبيد كما قلت هم الذين يدقون باب الحظيرة ليضعوا في أنوفهم الخطام.

ولكن مواكب الحرية تسير وفي الطريق تنظم إليها الآلوف والملايين وعبيثا يحاول الجلادون أن يعطّلوا هذه المواكب أو يشتتوها بإطلاق العبيد عليها عبيثا تفلح سياط العبيد ولو مزقت جلد الأحرار عبيثا ترتد مواكب الحرية بعدها حطمت السدود ورفعت الصخور ولم يبقي في طريقها إلا الأشواك.

إنما هي جولة بعد جولة وقد دلت التجارب الماضية كلها على أن النصر كان للحرية كل معركة نشبت بينها وبين العبودية قد تدمى قبضة الحرية ولكن الضربة القاضية دائما تكون لها وتلك سنة الله في الأرض لأن الحرية هي الغاية البعيدة في قمة المستقبل والعبودية هي النكسة الشاذة إلى حضيض الماضي.

إن قافلة الرقيق تحاول دائما أن تعترض مواكب الحرية ولكن هذه القافلة لم تملك أن تمزق المواكب يوم كانت تضم القطيع كله والموكب ليس فيه إلا الطلائع فهل تملك اليوم وهي لا تضم إلا بقايا من الأرقاء - أن تعترض الموكب الذي يشمل البشرية جميعا.

وعلى الرغم من ثبوت هذه الحقيقة فإن هنالك حقيقة أخرى لاتقل عنها ثبوتاً إنه لابد لموكب الحريات من ضحايا لابد أن تمزق قافلة الرقيق بعض جوانب الموكب لابد أن تصيب سياط العبيد بعد ظهور الأحرار لابد للحرية من تكاليف أن للعبودية ضحاياها وهي عبودية أفالاً يكون للحرية ضحاياها وهي الحرية.

هذه حقيقة وتلك حقيقة ولكن النهاية معروفة والغاية واضحة والطريق مكشوف والتجارب كثيرة فلندع قافلة الرقيق وما فيها من عبيد تزين أواسطهم الأحزنة ويحلّي صدورهم القصب ولننطلع إلى موكب الأحرار وما فيه من رؤوس تزين هاماتها مياسم التضحية وتحلي صدورها أوسمة الكرامة ولنتابع خطوات الموكب الوئيدة في الدرج المفروش بالشوك ونحن على يقين من العاقبة والعاقبة للصابرين.

المصادر: